

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ *﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿آمين﴾

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٥) يقول الله تعالى في هذه الآية إن الذين يسمعون الدعوة للاتفاق على كلمة سواء ثم يعرضون عن قبولها، لا تبقى لهم صلة بالإيمان. عندها يحق لأصحاب هذه الدعوة فقط - وهذا حق يعطيهم القرآن - أن يقولوا لهم: ﴿اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾، وذلك لأننا دعوناكم إلى الوحدة ووحداية الله تعالى حسب إعلانه تعالى السالف الذكر.

الدعوة القرآنية للاتفاق على كلمة سواء
القرآن الكريم كلام عظيم وحكيم للغاية، ويدعو - مهملاً الخلافات كلها - إلى وحدة هي بمثابة قاسم مشترك بين أهل

مأساة مسلمي كشمير وفلسطين والخدمات الأحمدية

خطبة جمعة ألقاها حضرة أمير المؤمنين ميرزا طاهر أحمد نصره الله الخليفة الرابع للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام في ٨ آذار/ مارس ١٩٨٥م في مسجد "الفضل" بلندن (القسط الأول)

الخطبة السابعة من سلسلة الخطب التي ألقاها سيدنا ميرزا طاهر أحمد، الخليفة الرابع للإمام المهدي عليه السلام ردًا على تهمة باطلة ألصقتها بجماعته حكومة الدكتاتور ضياء الحق في باكستان في "البيان الأبيض" المزعوم الذي نشرته بعنوان: "القاديانية، خطر رهيب على الإسلام". لقد ردَّ الخطيب في كلمته هذه على التهمة الباطلة القائلة بأن الأحمديّة خانت مصالح باكستان والعرب المتعلقة بقضيّة كشمير وفلسطين، وبأن السير ظفر الله خان أول وزير خارجية لباكستان قدم قضية فلسطين في الأمم المتحدة بأسلوب أدى إلى تقسيمها. لقد أثبت الخطيب من خلال الأحداث المسجلة على صفحات التاريخ أنه كلما تعرضت مصالح المسلمين العرب أو غيرهم لأي خطر كانت الأحمديّة في الطليعة دائمًا للدود عنها، في حين إن الذين يتهمونها اليوم قد خانوا مصالح المسلمين دومًا، وسيرتهم هذه مسجلة على صفحات التاريخ بأقلام مؤرخيهم. لقد تشرف بتزجمتها الأستاذ عبد المجيد عامر وراجعها الأستاذ عبد الله أسعد عودة.

الجارية ضد الأحمديّة في باكستان تعارض هذا المبدأ تماماً. إن معارضينا يقومون بتصرفات لا تروق أهل السماء ولا يرضى بها الله ﷻ، لأنها تنافي قدره تعالى.

لقد نهض معارضو الأحمديّة اليوم عاقدين العزم على أنهم سوف يحون كل قاسم مشترك وسوف يقومون بتقوية أوجه الخلافات، فكأنهم قد عمّوا في عداوة الأحمديّة فيرمونها بتهم لا تمت إلى الحقيقة بصلة من قريب أو من بعيد.

ولقد أوردتُ بعض الأمثلة على هذا الموضوع في الخطبة الماضية ووضّحته لا بلساني فقط وإنما بلسان الآخرين، بل بلسان أولئك الذين يتهمونا اليوم بكل وقاحة. وكنت قد أثبتتُ أن الأحمديّة ظلّت وقيّة للإسلام دائماً، وحافظتُ على مصالح المسلمين في كل الأحيان. أما متهمونا فليسوا كاذبين ومفتريين فقط في اتّهامهم إيانا بل إنهم هم المجرمون الحقيقيون، المجرمون الذين يشهدون على أنفسهم بقولهم وفعلهم.

على أيّة حال، كنت قد أوردتُ بعض المقتطفات من كتب غير الأحمديين وجراندهم التي تتناول أحداث فترة قبل تأسيس باكستان. والآن سأذكر في هذا الصدد بعض الأمور الأخرى بغية التنبية إلى أنه كلّما حدق بالإسلام أو بالمسلمين خطر، احتلت الأحمديّة بفضل الله تعالى مقام الصدارة في كل موطن، وتصدت لكلّ عدو بكل ما ملكت من عدة وعتاد. أمّا "مجلس الأحرار" أو الجماعة المودودية

والاضطهاد وغيض الطرف عن تمادي أحد في العداوة عملاً يعكسان حقيقة أنه كلّما تمّ العثور على قاسم مشترك أو وُجدت كلمة سواء بين الشعوب وجبت الدعوة إليها. هذا درس غاية في الروعة، وليس نافعا لمحو الخلافات في الأوساط الدينية فقط بل هو في العالم السياسي والاجتماعي أيضاً بمثابة مفتاح سحري من شأنه أن يفتح كل نوع من الأقفال من أجل تصفية الخلافات أجمعها. ولكنه من سوء حظ الشعوب والأقوام أنهم واقعون في مصائب كبيرة متناسين هذا التعليم القرآني العظيم، وجعلوا الدنيا بمثابة جهنم ملتبهة لأنفسهم وغيرهم بمن فيهم الأصدقاء والأقارب أيضاً، ناهيك عن الأعداء.

الحقيقة أن حلّ مشاكل العالم كله يكمن اليوم في الاتفاق على كلمة سواء بين الشعوب. ولكن حكومة باكستان التي تأسست باسم الإسلام وتدّعي بحُبّ الإسلام، لا تستوعب لسوء الحظ هذا المبدأ الأساسي ناهيك عن الأقوام الأخرى.

الهجوم على الدعوة القرآنية

إذن فالحملة الشعواء التي تُشنّ في هذه الأيام ضد الأحمديّة في باكستان تتلخص في محو كل قاسم مشترك، في حين أن الرسالة التي جاء بها القرآن تتلخص في غرض الطرف عن أوجه الخلاف كلها والقيام بالدعوة إلى الاتفاق على كلمة سواء وقاسم مشترك. ولكن الحملة

الكتاب وأهل القرآن. ويغضّ القرآن الكريم الطرف عن تكذيب أهل الكتاب للنبي الأكرم ﷺ وقولهم إنه مفتر (والعياذ بالله)، كما يغضّ الطرف أيضاً عن حقيقة أن أهل الكتاب كانوا شديدي الحرص على قتل الرسول ﷺ وأعداء لرسالته، وهم على استعداد دائم أيضاً للقضاء على دعوته الطيبة ولا يتأخرون في هذا السبيل جهداً، ولا يدعون الفرصة تفوتهم لإلحاق الضرر بالإسلام وبمؤسسه ﷺ. فعلى الرغم من عداوتهم الشديدة هذه يدعوهم القرآن إلى كلمة سواء ويدعوهم إلى غض البصر عن الخلافات أيضاً.

فما أعظّمه من كتاب وما أروعته من كلام!! إذ هو نابع من أعماق روح الحق والصدق. ولا يمكن لأحد أن ينطق بهذا النوع من الكلام ما لم يكن محبباً مخلصاً لبني الإنسان من ناحية، وعلى صلة متينة بالله ﷻ من ناحية أخرى.

والله ﷻ يظل على صلة وثيقة وعميقة بعباده دون التمييز بين ألوانهم وطوائفهم ومذاهبهم ومللهم، وإن هذه الصلة أسمى من حدود الدين أيضاً لأنها صلة بين الخالق وخالقه. إذن فما لم يصدر هذا الصوت من هذا الخالق العظيم لا يمكن لأهل الدنيا أن يفكروا. يمثل هذا الكلام والأفكار. فهذا كلام يضمن الالتزام والعمل به احتفاءً خلافاً للعالم بأسره. إن الدعوة إلى كلمة سواء هي في الحقيقة دعوة بني البشر إلى الحسنات والأعمال الصالحة. وكذلك فإن تجنّب الظلم

فقد قامت دائماً بدور معاد لمصالح الإسلام. وهذا أمر لا يقبل الشك والريبة بشكل من الأشكال، وليس من قبيل الاتهام أيضاً لأن الحقائق التاريخية توضح بجلاء أن هؤلاء الناس قد لعبوا دوراً معادياً لمصالح المسلمين بكل مناسبة هامة تعرض فيها الإسلام والمسلمون لموقف حاسم. يرمز الكتيب الذي نشرته الحكومة الباكستانية إلى كثير من الأمور دون إيراد تفاصيلها أو بيان الأدلة على صدقها. فقولها إن الأحمديّة تعادي الإسلام والمسلمين يشمل جميع تلك التهم التي ألصقتها فئة الأحرار وجماعة المودودي خاصة بالأحمديّة في أوقات مختلفة وبأساليب مختلفة. الجرائد التي أعادت نشر تلك التهم في الفترة الحالية، أو الكتب التي طبعت لهذا الغرض في باكستان قد صدرت كلها بإشراف الحكومة، وقد مولتها الحكومة بأموال الزكاة وغيرها، وأعلنت بكل اعتزاز وتفاحر أنها تشرف على هذه الحملة الشرسة.

التهم التي ألصقت بالأحمديّة هي غريبة جداً منها أن الأحمديّة عميلة للهند والهندوسية، وأن الأحمديين ممثلون للشبوعية، وعملاء للدول الاشتراكية كلها، وممثلون وعملاء للدول الاستعمارية كلها. مما يعني أن عقول معاندي الأحمديّة قد شلت تماماً إذ يقولون إن الأحمديين عملاء روسيا وإسرائيل في آن واحد. ويقولون أيضاً إنهم عملاء لجميع الدول في العالم حتى لو كانت هذه الدول معادية بعضها لبعض. ولكننا لو تأملنا في

الأحداث الواقعة لبرزت الحقيقة على عكس ذلك تماماً. ثم لا تبقى تلك الأمور قصصاً خيالية بل سرعان ما تتحول إلى حقيقة تاريخية ثابتة.

المسلك البين للأحمديّة

فيما يتعلق بعمالة الهندوسية والهند، فهذه تهمة سخيفة ومبنية على قصص خيالية نسجتها أذهان ضيقة الآفاق، ولا حقيقة لها أكثر من ذلك.

الواقع أن للأحمديّة مسلكاً واضحاً مبنيًا على هدي القرآن والسنة النبوية الشريفة وهو: أن الأحمدي يكون مخلصاً للبلد يقيم به ويظل في كل الأحوال مخلصاً وفيّاً لمسقط رأسه وربوع شبابه. فمن هذا المنطلق فإن الأحمدي الذي يقيم في الهند مخلص لبلده وكذلك الأحمدي الذي يقيم في باكستان سيزل وفيّاً لباكستان دائماً وأبداً، والأحمدي الذي يقيم في بريطانيا وفي بلده وسيبقى وفيّاً دائماً. فيظل الأحمديون أوفياء للأقطار التي يتنفسون في أجوائها. هذه هي الحقيقة، أما ما عداها فهو باطل وكذب وبهتان. وإذا كان هؤلاء المتهمون يودون أن يبيع الأحمديين في كل أنحاء العالم مصالح بلادهم التي نشأوا فيها لمصلحة باكستان فهذا أمر ينافي تعليم الإسلام ومرادف لجعل الأحمديين خائنين لبلادهم في جميع أنحاء العالم ما عدا باكستان. وهذا ما لا يفعله متهمونا أيضاً. هل المسلمون القاطنون في بريطانيا مثلاً والعرب كلهم، وسكان أفريقيا والقارات الأخرى خائنون للبلاد التي

يقطنونها؟ كلاً!! إذن فهذه أمور خيالية وحكايات عاطفية بحتة. الواقع أن الذين يرموننا بمثل هذه التهم هم الخائنون لبلادهم الأم.

يعلم العالم كله أن باكستان بلد يسيطر عليه شبحان: شبح الجماعة الإسلامية (جماعة المودودي) وشبح فئة الأحراريين. حينما تُوجّه الأسئلة إلى المسؤولين في باكستان من الخارج ويقول الناس: ما هذا الحمق والغباوة، وما هذه التصرفات المشينة التي تقومون بها؟ يردون قائلين: إننا قد رزينا بمصيبتين (جماعة المودودي وفئة الأحرار) لا تتركنا. إنهما قد أثارتا الجمهور ضد الأحمديين فاضطررنا لاتخاذ الخطوات ضدّهم تحت ضغط الجمهور. والحقيقة أن الحكومة الحالية مُمتطية ظهر هذين الشبحين وتستغلها لمصلحتها. وسوف تستمر في استغلالهما ما دام الشبحان يخدمان مصلحتها ثم تخدلهما. والنوايا نفسها تكُنّها جماعة المودودي وفئة الأحرار تجاه الحكومة. أي كلا الفريقين يؤمن بالمبدأ نفسه. إذن فعندما تصطدم مصلحة بعضهم ببعض سوف يخذل بعضهم بعضاً. فهذه الصداقة صداقة الاضطرار، وهذه العلاقة علاقة الاضطرار المتبادل من شأنها أن تنقطع في أية لحظة. إن العلاقات كهذه قد انقطعت في السابق ولسوف تنقطع الآن أيضاً بإذن الله.

كيف تأسس مجلس الأحرار

الآن أشرح لكم كيفية تأسيس مجلس الأحرار وجماعة المودودي قبل تأسيس

أقول: قد لاحظتم أن الهندوس هم أولياء "الأحرار" ومُرشدوهم، وحماة خلافاتهم، وهكذا كانت علاقاتهم، ومع ذلك يطيلون اللسان على الأحمديّة اليوم.

ثم يقول في بيت آخر: "إن الله الشكور القدير قد منح غاندي هذه المرتبة السامية تقديراً لجهوده الجبارة".

مما يعني أن غاندي لم يحرز هذه الدرجة بعمل إنسان حتى يُظن أنه أخطأ في منحه هذه المرتبة السامية، بل الله ﷻ منحه إياها تقديراً لمساعدته. وهذا يعني أيضاً أنه حينما ألقى الله نظرة على المسلمين في العالم كله لم يجد أحداً قادراً على حماية الخلافة فوق خياره في هذا الصدد على هذا الهندوسي المهاتما غاندي، فوهب الله تعالى العالم الغيب والشهادة لغاندي هذه المرتبة تقديراً لجهوده!!

ثم يقول المولوي ظفر علي خان عن الوحدة بين المسلمين والهندوس:

"ما كان لأحد أن يتصور هذه الوحدة قبل خمس سنوات، لا الهندوس ولا المسلمون. يُعتقد عن السيد غاندي، ولاله لجت رائتي، والسيد مالوي، وموتي لال نهرو (الزعماء الهندوس) أن مساعيهم قد تمحضت عن هذه الوحدة، ولكن ألم يكن كل هؤلاء موجودين من قبل؟ أولم يكونوا يملكون هذه القدرة من قبل؟ إنني (ظفر علي خان) أقول: إن هذا الاتحاد قد تمّ بقوة سماوية. والآن لن تحدث التفرقة بين الهندوس والمسلمين. الأيادي والمنن التي أسداها الهندوس والسيد غاندي إلى المسلمين ليس بوسعنا أن نُحازيهم عليها".

بُذرت بذور الكراهية بين المسلمين". إذن فالحقيقة التاريخية هي أن الهندوس والكونغرس الهندي أسسوا مجلس الأحرار واستخدموه لتحقيق مصالحهم.

هذا، وهناك أدلة غير قليلة لإثباتها، قد ذكرتُ بعضها سابقاً وهناك كثيرة أخرى لا يمكن سردها لضيق الوقت.

من المعروف أن المولوي ظفر علي خان، محرر جريدة "زميندار" كان من رُؤاد الأحرار، غير أنه تاب وتراجع عن موقفه فيما بعد، ولكن بعد فوات الأوان. إنه أدى حق المحاماة والدفاع عن الأحرار لفترة طويلة وقام بدعاية واسعة النطاق لصالح الأحرار من خلال جريدته. ولقد نظم السيد ظفر علي خان في أبياته أفكاره عن المهاتما غاندي والعلاقات بين الهندوس والمسلمين. يعود تاريخ هذه الأحداث إلى أيام حركة الخلافة حين زعم المسلمون أن الإنجليز قد قضوا على خلافاتهم (في تركيا) فقررّوا نبدًا طاعة الحكومة الإنجليزية والمجرة إلى أفغانستان قاطعين علاقاتهم بالإنجليز. هذا الإعلان الذي تم عن حماية خلافة المسلمين يقول عنه "الأحرار": إن السيد غاندي هو الذي قام بهذا الإعلان. فقد قال المولوي ظفر علي خان في أبيات من شعره ما تعريبه:

"لقد أعلن السيد غاندي الحرب اليوم وجعل الحق يُحارب الباطل. لقد نفث روح الحياة في الهند من جديد وبذلك مهّد الطريق لتحرير الحياة، وضحّى بنفسه ونفيسه من أجل الخلافة، وهكذا بذل كل شيء في سبيل الله".

باكستان، وكيفية تصرفاتهم ونواياهم، وكيف كانت رؤيتهم للهندوس والهندوسية، وكيف كان تعاملهم مع البلاد الإسلامية. سأقرأ على مسامعكم مقتطفين في هذا الصدد ولسوف أتناول ذكر تأسيس مجلس الأحرار أولاً. نعرف خلفية تأسيسه من خلال كتاب شهير طبع بعنوان (حركة الاستقلال في كشمير للسيد غلام حسن خان،

Freedom Movement In Kashmir
(Light and Life Publications New Delhi 1980)

ورد في الكتاب ذكر مفصل لحركة كشمير من عام ١٩٣١م لغاية ١٩٤٠م. يقول المؤلف في صدد تأسيس مجلس الأحرار: "تأسس مجلس الأحرار على منصّة الكونغرس الهندي (الحزب السياسي للهندوس). بمناسبة اجتماعه السنوي، وسُمّي بمجلس الأحرار الهندي وانتخب السيد عطاء الله شاه البخاري أول زعيم له".

ثم يقول:

"لقد استغل الرهبان الهندوس تفرقة المسلمين لإضرار حركتهم".

وكيف استغل الهندوس مجلس الأحرار؟ يقول المؤلف:

"لقد عقدت جمعية الرهبان الهندوس اتفاقية سرية مع بعض الزعماء المسلمين ذوي النفوذ وأصحاب "مير واعظ". بمن فيهم ميرزا غلام مصطفى، أسد الله وكيل وغيرهم. وعقدت الجمعية جلسات سرية وأشاعت أن الشيخ عبد الله يريد القضاء على زعامة دينية (زعامة "مير واعظ") بالتآمر مع الجماعة الأحمديّة. وهكذا

إنهم يتَّهمون الأحمديين بكونهم عملاء للهندوس، والحقيقة أن الأحمدي - كما أسلفتُ - يكون مخلصاً وفياً لبلده. وها نحن نعلن دون أدنى تردد أنه من واجب الأحمدي الذي يقيم في الهند - وهذا ما يفرضه عليه القرآن أيضاً - أن يكون مخلصاً ووفياً لبلده، وألا يخون في حال من الأحوال بلداً يقطنه. غير أنني لا أتحدث عن الأحمديين القاطنين في الهند، ولا يقول بذلك أعداؤنا أيضاً، بل البهتان الذي يفترونه هو أن الأحمديين القاطنين في باكستان هم عملاء الهند وأوفياء لها ولا علاقة لهم بباكستان، وهذا كذب صريح وبهتان شنيع.

وأما الذين هم أوفياء للهندوس وعملاء للهند حقيقة فوفاؤهم وعمالتهم مكشوفة من خلال كتاباتهم وأقوالهم التي سوف نوردها في حينها.

سيرة الجماعة المودودية

تعالوا الآن نستعرض مدى حُبّ الجماعة الإسلامية المودودية للإسلام وكيفية علاقاتها مع الدول الإسلامية. فكما سبق لي أن قلت: إنهم ما وجدوا أي أثر ولا علاقة للإسلام في البلاد العربية، ما لم يتدفق النفط فيها. ولكن حينما تدفقت ثروة النفط بغزارة في البلاد العربيّة عندها بدأت نظراتهم ترنو إليها وعرفوا فجأة أن الله يسكنُ تلك البقاع ويسكنها أولياء الله. ولكن كيف كان أولياء الله هؤلاء يبدون للسيد المودودي قبل تدفق النفط في بلادهم؟ اسمعوا بلسانه هو الذي بات الآن

من مرشدي الحكومة الباكستانية الحالية والذي يمدحه الناس عادة ويقولون إنه مخلص حلاً وخدم العرب كثيراً وقدمت تضحيات كبيرة للمسلمين بشكل عام. يقول المودودي:

"الجهل مسيطراً على الأراضي العربية بسبب حكومة الحجاز. (أي حكومة السلطان عبد العزيز والأمراء الذين جاؤوا بعده) وسدنة حرم الكعبة قد تحولوا إلى حماة "بنارس وهردوار*." (خطبات المودودي الطبعة الرابعة ص ٢٠٥ - ٢٠٦)

هناك عبارة طويلة بهذا الخصوص ويختار القارئ عند مطالعتها لكونها مليئة بالعناد والبغضاء. ويبدو أن قائلها كان بالمرصاد منذ فترة طويلة وسنحت له الفرصة الآن فبات ينفث سئماً على فريسته.

ربما يظن أحدًا أن السيد المودودي قد يكون متعاطفاً مع المسلمين الآخرين، وبما أنه كان يجب الصدق لذا فقد تفوه بما رآه بأعينه. ولكنني أخبركم بما يكن صدره للعالم الإسلامي بشكل عام. ولربما لم يُغيّر رأيه هذا في وقت من الأوقات، إذ يقول:

"عندما أُلقي نظرة فاحصة على الدنيا بصفتي مسلماً حقيقياً، لا أحد سبباً يبعث على الفرح والسرور بأن أرى الأتراك يحكمون تركيا، والإيرانيين يديرون إيران والأفغان يحكمون أفغانستان." (العراك السياسي ج ٣ الطبعة الثالثة ص ٧٨)

* مدينتان هنديتان مقدستان لدى الهندوس. (الترجم)

نعم! لو رأى المودودي الهندوس أو الروس أو الإنجليز يحكمون البلاد المذكورة لكان ذلك مدعاة للفرح والسرور له. يقول: كيف أفرح حين أرى الأتراك والأفغان والإيرانيين يحكمون بلادهم الخاصة بهم. كيف لي أن أفرح وهم لا يعترفون بسلطتي ولا بسطة بلد آخر على بلادهم؟ ثم ينتحل عذراً من عنده، وما أعظمه من عذر "إسلامي!!" يقول:

"أنا بصفتي مسلماً حقيقياً لا أعترف بمبدأ "حكم الناس، على الناس، للناس". هذا يعني أن المودودي لا يعترف بتعريف الديمقراطية المتداول والقائل:

"Government of the people,
by the people, for the people"

ويستاء من كل الحكومات التي تشكلت على أساس الديمقراطية في البلاد الإسلامية. ولا قيمة - في عين المودودي - لهؤلاء الذين شكلوا حكومتهم على أساس الديمقراطية في بلادهم الإسلامية.

قد يظن القارئ وكأن الشيخ يريد القول: بما أن الحكم الديمقراطي في البلاد الإسلامية ليس بأفضل من الحكم الديمقراطي في البلاد غير الإسلامية لذا فهو ليس معجباً بها. وقد تكون حجته في ذلك أن الكفار والمشركين أحطّ منزلة من المسلمين ولكن حكمهم الديمقراطي أفضل من حكم المسلمين، لذا فهو لا يجب حكم المسلمين الديمقراطي الأدنى مقابل حكم الكفار والمشركين الديمقراطي الأفضل.

هذا ظنّ حسن قد يخطر ببال القارئ ولكنه سرعان ما يزول عند اطلاعه على عبارة

نزيفة للمسلمين، وعلى الرغم من ذلك فقد ذكرت بعض الجماعات تلك الخدمات في محكمة التحقيق بأسلوب وقح جدا يعكس الجحود للمعروف". (تقرير محكمة التحقيق ص ٢٠٩)

إنجازات (كتيبة الفرقان) الأحمديّة

عندما كانت المساعي والمشاريع لتحرير كشمير قيد العمل كان إمام الجماعة الإسلامية الأحمديّة آنذاك أول شخص غني بقضيّة كشمير، وهو الذي بدأ الجهاد في كشمير، واشترك فيه الأحمديون الشبان منهم والشيوخ، المُنكون منهم والأغرار على حدّ سواء، مُلّين دعوة حضرته ﷺ. لقد زُوّدوا بالأسلحة والأموال، وهكذا وُضع لهم نظام متكامل للنضال. هذه حقائق تاريخية لا يملك معاندو الأحمديّة إهمالها مهما حاولوا، ولا يملكون شطب هذا التاريخ بشكل من الأشكال.

حينما كانت حكومة باكستان تبذل قصارى جهدها لتحرير كشمير وكانت هناك محاولات أخرى من قبل القوى المستقلة أيضاً في هذا الصدد، كانت جماعة المودودي عندها تُصدر ضدهم فتاواها الشديدة اللهجة وتقول بأنه ليس جهاداً أبداً فلا تحسبوه جهاداً ولا تشتركو فيه. سمّوه بما شئتم ولكن لا تدعوه جهاداً. إذن فالبلد الذي كان عرضة للاضطهاد البغيض حيث كان المسلمون يجاهدون في قضيّة "إما الحياة وإما الموت" لدرجة نهض المسلمون من بلاد مجاورة أيضاً لنجدتهم وحمايتهم بكل ما في وسعهم، ففي البلد

الأمر في تقرير محكمة التحقيق، وأظهر استغرابه البالغ من وقاحة معاندينا لإصاقهم تهمة الخيانة بالأحمديين المجاهدين الرواد للدفاع عن باكستان، ولاعتبارهم إيانا أعداء للدولة.

ففيما يتعلق بأحداث جرت بعد تأسيس باكستان فالحقيقة الثابتة التي لا تقبل الشك أبداً والتي يؤيدها التاريخ أيضاً هي أنه ليست ثمة جماعة إسلامية أو حزب إسلامي قام بخدمات جليلة في سبيل تحرير كشمير مثل ما قامت به الجماعة الإسلامية الأحمديّة.

تذكر مجلة "طلوع إسلام" (آذار/مارس ١٩٤٨م) الجهاد العظيم الذي قام به السير ظفر الله خان في قضية كشمير وقالت: "الحسن الحظ وحدث باكستان محامياً بارعاً قدّم قضية مبنية على الحق والصدق بحيث بدت حُجُجُه بصورة عصا موسى، فابتلعت ثعابين الجبائل، وشاهدت الدنيا مشهداً ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾".

أقول: هذا ما كنتم تقولونه إلى الأمس القريب، وأصبحتم اليوم ترمون الأحمديين بالخيانة. يا لقلّة الحياء ويا للسخرية! كان القاضي منير أحمد أحد أعضاء اللجنة المشكّلة لتحديد الحدود عند تقسيم الهند. وفي عام ١٩٥٣م حين أثار معاندو الأحمديّة بعض الأسئلة عن السير ظفر الله خان وقالوا: إنه أدلى ببيان كذا وكذا عن قضيّة كشمير وقال كيت وكيت عن مسألة فلسطين كتب القاضي منير في تقريره بعد التحقيق الدقيق والشامل: "لقد قام السير ظفر الله خان بخدمات

أخرى كتبها الشيخ المودودي حيث يُصدر فتواه التالية ضد حكم المسلمين وغيرهم معاً. فيقول:

"إذا كان غير المسلمين يندرجون تحت حكم "الضالين" فهم (أي المسلمون) ينطبق عليهم تعريف "المغضوب عليهم". (العراك السياسي ج ٣ الطبعة الثالثة ص ٧٨) ثم يقول عن مصر:

"جبال المصائب التي يصبّها اليوم الدكتاتورون العسكريون في مصر على "إخوان المسلمين" قد أحييت ذكريات عهد الفراغة القدامى".

فالمودودي يكنّ بغضاً وحقداً شديداً ضد الحكومات الإسلامية. والجماعة المودودية تتبع هذه الأفكار المودودية ومع ذلك تتشدد اليوم وترمي الأحمديّة بتهم باطلة بأنها خائنة للدول الإسلامية. ولكن التاريخ سوف يبيّن كل ذلك بجلاء ويرهن بوضوح كيف كانت وما زالت ولن تزال بإذن الله سيرة الأحمديّة تجاه الدول الإسلامية؟

خدمات الأحمديّة لتحرير كشمير

التهمة المتعلقة بالخيانة التي تلتصق بالأحمديّة بصورة معينة هي أن الجماعة خانت المسلمين في كل المناسبات، وأن السير ظفر الله خان قد خان مصالح كشمير، كما بذلت الأحمديّة جهوداتها ضد قضيّة كشمير. ولكن الحقيقة على عكس ذلك تماماً، وليس قولهم هذا إلا بهتاناً عظيم وافتراف قبيح لا يخاف أصحابه ربّهم أدنى خوف. لقد سجل القاضي منير أحمد هذه



نفسه وعن الجهاد ذاته كانت الجماعة المودودية تصدر فتاواها أنه ليس جهادًا فلا تقربوه ولا تساهموا فيه بشكل من الأشكال. وعلى النقيض من ذلك شكلت الأحمديّة "كتيبة الفرقان" وأرسلتها إلى جبهة القتال. والجدير بالذكر أن الأحمديّة كانت الوحيدة التي أرسلت كتيبة عسكرية على حسابها لمواجهة العتو على جبهة القتال، واعترفت حكومة باكستان فيما بعد بهذه الكتيبة رسميًا. وحين اندلعت الحرب قامت هذه الكتيبة بأعمال بطولية. كانت الكتيبة تتضمّن أكثر من شاب كان وحيّدًا لأبويه.

تحتوي أوراق التاريخ على أحداث مفادها أنه عندما بدأ سيدنا الخليفة الثاني للإمام المهدي عليه السلام الكفاح المسلح لتحرير كشمير لم ينتبه إليه الناس في بداية الأمر في بعض القرى كما يجب، ظلّ منهم أنها حركة عادية ولا يختلف الأمر كثيرًا إذا ساهموا فيها أم لم يساهموا، ولأن المسلمين كلهم مشغولون فيه فلا بأس لو لم نشترك فيه نحن. غير أن المصلح الموعود، الخليفة الثاني عليه السلام كان شديد الاهتمام بها. وحدث ذات مرة أن شخصًا حمل رسالة المصلح الموعود عليه السلام بهذا الخصوص إلى قرية ولكن لم يُرشد أحدًا اسمه للمشروع. فقال لهم حامل الرسالة: إنكم لا تقصرون مدى اهتمام سيدنا المصلح الموعود عليه السلام بهذه القضية، وها أنا قد بلّغتمكم رسالته. انهضوا وقدّموا التضحيات لعالم الإسلام. عندها قامت سيدة عجوز وقالت للحضور: إنني محتارة

” هذا أحد نماذج الغيرة التي أبدتها الأمهات الأحمديات. ولقد تحدث سيدنا المصلح الموعود عليه السلام عن هذا الحادث في إحدى خطبه فيما بعد وقال: «والله عندما تناهى هذا الصوت إلى أذني، تصاعد من قلبي صوت عفوي يقول: يا ربي إذا كنت قد قدرت الشهادة لابن هذه العجوز فأرجوك أن تأخذ أبنائي بدلًا منه وتعيد إليها ابنها.»

إن سيدنا المصلح الموعود عليه السلام، إمام الجماعة الإسلامية الأحمديّة آنذاك لم يكنف بإعلان الجهاد فقط بل أرسل أبناءه فعلاً إلى جبهة القتال. إنهم تحمّلوا المشاق الصعبة على الجبهة، منهم من أصيب بالزحار ومنهم من أنهكته الجماعة. ولكن سيدنا المصلح الموعود لم يسمح لهم بالعودة تحت عذر الأمراض. إنني أتذكّر شخصيًا أن بعضًا من أبنائه اشتكوا من معاناة شديدة وبالغة الخطورة وكانت حالتهم سيئة جدًا لتعرضهم لظروف قاسية للغاية، فأصيب بعضهم بالزحار الدموي وكتبوا إلى حضرته أن يأذنهم بالعودة، ولكن المصلح الموعود عليه السلام لم يسمح لهم بذلك وقال: لا بُدّ أن تبقىوا هناك في كل الأحوال، وتخدموا البلاد والملة.

ولقد أحس المنصفون من غير الأحمديين بالخدمات الجليلة التي قدمتها الجماعة الأحمديّة في تلك الظروف العصيبة، وشهدوا بها أيضًا. لناخذ على سبيل المثال لا الحصر شهادة السيد حكيم أحمد دين رئيس جماعة المشايخ في مقاطعة سيالكوت إذ كتب في مجلة "القائد الأعظم" العدد يناير/كانون الثاني ١٩٤٩م فقال:

من أمري وأكاد أموت غيرة على أنكم سمعتم دعوة الخليفة وبقيتم صامتين واجمين. أنا لي ابن وحيد، وها إنني أقدمه في هذا السبيل، وأدعو الله عز وجل أن يكتب له الشهادة وألّا أراه حيًّا مرة أخرى.

هذا أحد نماذج الغيرة التي أبدتها الأمهات الأحمديات. ولقد تحدث سيدنا المصلح الموعود عليه السلام عن هذا الحادث في إحدى خطبه فيما بعد وقال: "والله عندما تناهى هذا الصوت إلى أذني، تصاعد من قلبي صوت عفوي يقول: "يا ربي إذا كنت قد قدرت الشهادة لابن هذه العجوز فأرجوك أن تأخذ أبنائي بدلًا منه وتعيد إليها ابنها".

هذه كانت العواطف التي تحلّى بها أبناء الأحمديّة أثناء الجهاد لتحرير كشمير. واليوم أطلّتم أيها المعاندون برؤوسكم من مكامنكم لتتشدقوا وترفعوا أصواتكم الفارغة. أين كان أبنؤكم في تلك الأوقات الحاسمة؟ أين كان أبناء عطاء الله شاه البخاري وأين اختفى أبناء المودودي وأشياعه عند المعركة؟ نعم! كانوا متوارين بعيدا عن ساحة الجهاد، لم يرهم أحدٌ خارجين إلى ساحة القتال.

مقالات تافهة ضد هؤلاء الأبطال بأنهم كانوا خونة كلهم. تُكتب اليوم في الجرائد الباكستانية عن اللواء أختر حسين ملك، واللواء عبد العلي ملك وغيرهما من الضباط العسكريين الأحمديين مقالات هي من السخافة بحيث ترك الإنسان محتاراً بأنهم قد عموا لهذه الدرجة في عداوة الجماعة.

ولكن ما قلتموه عنهم بالأمس يُعبر عن حقائق تاريخية فاسمعوها. اللواء (المتقاعد الآن) سرفراز خان، الحاصل على وسام "هلال الجرأة" والذي يحتل مكانة مرموقة في الجيش الباكستاني يقول بناء على مذكراته، وهو يعلق على حروب اندلعت بين الهند وباكستان:

"البراعة التي استخدمها اللواء السيد أختر ملك للهجوم على "شبه" (جبهة القتال داخل كشمير) لا يمكن تسميتها إلا بالفتح.

إذ كان في وضع يستطيع فيه أن يتقدم ويحتل جبهة "جوربان" لأن العدو كان قد ولّى هارباً بعد هزيمته على جبهة شبه، وكان يترقب إقدام جيش باكستان. ولكن هذا ما لم يُسمح له بالحدوث على صعيد الواقع لأنه كان هناك تخطيط مسبق لإعادة الفضل في كل تلك الإنجازات إلى اللواء "يحيى خان" دون أن يحرك الأخير ساكناً.

ولكن من خابت آماله؟ نعم فقد جعلت الفرصة تفلت من اليد لإلحاق هزيمة كاملة بالهند". (جريدة "جنغ" لاهور، ٦/٩/١٩٨٤ م، ص ٣، عمود ٦-٧)

هل هؤلاء الأحمديون هم الخونة؟!

لقد غطت وسائل الإعلام في باكستان

والطلاب والأساتذة ورجال الأعمال، وكلهم كانوا مندفعين اندفاعاً قوياً بعواطف خدمة باكستان. لقد قدّمتم تضحّيات نزيهة ببذل نفوسكم دون أن تتقاضوا راتباً أو تتمنوا شهرة. وكّلت إليكم جبهة هامة في كشمير، فما لبثتم أن أدّيتم حق الثقة التي كنا نضعها فيكم. لقد واجهتم عدداً هائلاً من قوات العدو العسكرية والجوية في القتال، ولكنكم أدّيتم مسؤوليتكم بأحسن وجه دون أن تسمحوا للعدو أن يحتل بوصة واحدة من أرضكم".

هذه هي حكاية أولئك الذين تعتبرهم الحكومة الباكستانية الحالية خونة لباكستان والإسلام والبلاد الإسلامية. فأتوا أنتم أيضاً أيها المعارضون، بخونة مثلنا إن كنتم على ذلك من القادرين.

نكران الجميل

من الغريب حقاً ومن أسوأ أنواع نكران الجميل أيضاً ما تقوم به الحكومة الحالية. كان من المفروض أن تراعي الحكومة العسكرية زملاءها الأحمديين الجنود على الأقل، ولاسيما أولئك الضباط الأحمديين الذين نالوا مراتب الشرف العظيم بحصولهم على أوسمة البسالة مثل "نجم القائد الأعظم" و"هلال الجرأة"، وبسالتهم وشجاعتهم مسجلة في تاريخ باكستان بأحرف الذهب. ولكن للأسف الشديد يُهان اليوم في باكستان اسم هؤلاء الأبطال لمجرد كونهم أبناء الأحمدية.. هؤلاء الذين قدّموا تضحيات عديمة النظير في سبيل البلد والملة. تستأجر الجرائد اليوم فلانا وعلاناً لكتابة

"تحتل الفرقة القاديانية من الجماعة الأحمدية مكان الصدارة بين جميع الجماعات الإسلامية. إنها جماعة ذات نظام متكامل منذ القدم وملتزمة بالصلاة والصوم وغيرها من الشعائر الدينية. لقي دعاتها نجاحاً باهراً في جهودهم التبليغية في بلاد أجنبية أيضاً فضلاً عن هذا البلد. وللجماعة دور بارز في إنجاح الرابطة الإسلامية (الحزب السياسي الوحيد لمسلمي الهند) لتأسيس باكستان. المساهمة المخلصة التي قامت بها هذه الجماعة في جهاد كشمير جنباً إلى جنب المجاهدين الكشميريين لم يسبق لها نظير من حيث الشجاعة والإقدام، في رأينا، في أية فرقة مسلمة أخرى. نحن نمدح كبار هذه الجماعة على كل هذه الأمور ونشكرهم عليها. وندعو الله تعالى أن يوفّقهم أكثر فأكثر لخدمة البلد والملة والدين".

كذلك أشاد قائد القوى المسلحة الباكستانية آنذاك بـ "كتيبة الفرقان" بكلمات تعبر عن تقدير بالغ لها، ومنح أعضاء هذه الكتيبة وثيقة الشهادة أشاد من خلالها بخدماتهم الجليلة. هذه شهادة طويلة وسوف أقتبس منها مقتطفين وجيزين، تقول الشهادة:

"تضمنت كتيبتكم شباباً من مختلف مجالات الحياة".

(كما قلت سابقاً بأن هؤلاء الشباب المتطوعين كلهم قاموا بخدمات عسكرية على نفقاتهم الخاصة ولم يتقاض أحد منهم راتباً) ... ممن فيهم الشباب والمزارعون

هذا الموضوع على نطاق واسع، ولكن الوقت لا يسمح لي ببيان كل ذلك مفصلاً. غير أنني أرى من الأنسب ذكر أسماء تلك الجرائد والمجلات التي ذكرت هذه الأحداث بالإسهاب. فمنها جريدة "جنغ" بلاهور ١٠/٩/١٩٨٤م، والمجلة الشهرية "حكاية" نيسان/أبريل ١٩٧٣م، ومجلة "الفتح" ٢٠/٢/١٩٧٦م، وجريدة "جنغ" ١٢/٤/١٩٨٣م*.

أوردت جريدة "جنغ" الباكستانية في عددها ١٦/٢/١٩٨٣م الخبر نفسه بواسطة المصادر الخاصة بها وقالت: كانت الهند مهددة بالخطر من قبل اللواء "أختر حسين ملك" لدرجة أن أمر رئيس الوزراء الهندي آنذاك قائد قواته الجوية بألا يقلت أختر حسين ملك من اليد بشكل من الأشكال.

أخبركم الآن بمكنون قلب "شورش الكاشميري" الذي هدر حياته كلها في عداوة الأحمديّة. لا شك أن الجندي الأحمدي عندما يُقاتل في ميدان الجهاد في سبيل الإسلام والمسلمين والوطن فإنه يتحّبب إلى القلوب ويكون بارزاً من ناحية أعماله الجريئة على صعيد الجهاد حتى يضطر العدو اللدود أيضاً للإشادة البالغة به وبأعماله ولو دأب على سببه وشمته في مناسبات أخرى، ولكن صوت الحق

والصدق ينطلق من أعماق القلب عفويّاً ولا يُكَبَّت. فحين شاهد "شورش الكاشميري" المذكور إنجازات اللواء الأحمدي "أختر حسين ملك" اضطر للقول في بيت شعر له ما تعريبه: "لقد دعّمتكم أرضٌ دلهي أيها الزملاء، فأسرّعوا لتلبية دعوتها، وشكّوا عضد أختر ملك، أخبروا أودية غنغا** من أتم؟ وبأدروا مشهريين سيف "الذوالفقار" على جمننا**". (مجلة جتان، ١٣/٩/١٩٦٥)

عندما حمي وطيس الحرب لم ير "شورش الكاشميري" لواء غير اللواء الأحمدي "أختر حسين ملك" فنصح أصحابه لشد عضده. فإن الذي دعت أرض دلهي كان ابنًا باراً للأحمديّة. البطل الوحيد الذي رآه عدو الأحمديّة اللدود في قلب المعركة كان بطلاً أحمديّاً. لقد لقي اللواء أختر حسين ملك ربّه الآن، وهؤلاء الأعداء قد تجردوا من العاطفة الإنسانية لدرجة كبيرة حتى أصبحوا يدقّون ضريح هذا اللواء الذي كان محبّاً عظيماً للوطن ومدافعاً مخلصاً عنه والذي اعترف العالم كله ببسالته وشجاعته.

أما اللواء "عبد العلي ملك" فإنه متقاعد الآن. والله وحده أعلم بما يدور في قلبه حين يسمع هؤلاء النذلة والخسّة الكامنين في كنف "حكومة إسلامية" في "بلد مسلم"

وهم يسمونه خائناً لباكستان وعدواً للدول الإسلامية. هذا هو اللواء "عبد العلي ملك" الذي اعتبرتموه إلى الأمس القريب بطلاً عظيماً حينما كانت جبهة "شونده" بل المنطقة كلها معرضة للخطر الداهم، وكان الضباط العسكريون المسؤولون يوعزون له ويقولون إنك لن تستطيع المقاومة بحال من الأحوال لذا يجب أن تراجع. فقال اللواء عبد العلي ملك: لو تراجع أنا مع كتيبتي لن يجد الجيش الباكستاني المتقهقر ملاذاً إلا في العاصمة. لذا فإذا كان الموت مقدراً لنا فأفضل أن أموت على جبهة القتال ولن أتراجع ولو بوصة واحدة. ثم حين كتب الله تعالى له النصر والانتصار أشاد به كبار العلماء والمشائخ فضلاً عن كبار الضباط العسكريين وقالوا: هذا هو البطل، وجهاده هو الجهاد الحقيقي بكل معنى الكلمة. أذكر على سبيل المثال لا الحصر ما قاله الحاج عرفان رشدي، داعية مجلس علماء باكستان في ص ٧٣ من كتابه "معركة الحق والباطل" حيث نظم أبياتاً وفيما يلي تعريبها:

"حينما كان عبد العلي يقود الغزاة، كان يجول في الصفوف ويصول مثل الطوفان الجارف".

فإلى الأمس القريب كان اللواء عبد العلي يجول في الصفوف مثل الطوفان، أمّا اليوم فقد جال الكذب في عروقكم مثل الطوفان. مالكم لا تحجلون ولا تندمون ولا تدرون ما تقولون وضد من تنسجون الأباطيل والأكاذيب.

(يُتبع)

* كذلك سجل كتاب "حمية الوطن" (المطبوع من قبل مكتبة عالية شارع أليك بلاهور باكستان) ذكر أعمال الشجاعة والجرأة والإقدام لهؤلاء المسلمين الأحمدين الباكستانيين. ترون هذه الأعمال بجلاء على حبّ المسلمين الأحمدين وحماسهم لتقديم التضحيات لوطنهم الغالي.

** غنغا وجمنا نهران في الهند مقدسان عند الهندوس. (الترجم)